

## قبر راحيل

بطم العس عبد المسيح زمر

لقد جاء في الكتاب الكريم ان: «ماتت راحيل ودُفنت في طريق افراتة، وهي بيت لحم، ونصب يعقوب نصباً على قبرها، وهو نصب قبر راحيل الى اليوم.» (تك ٣٥: ١٩-٢٠) وورد في سفر الملوك الاول ايضاً ان صموئيل قال لشاول بن قيس، بعد مسحه آياه قائداً على ميراث الرب: «فاذا فارقته اليوم يستقبلك رجلان عند قبر راحيل، في تحم بنسامين في صلح، فيقولان لك قد وجدت الاتن التي خرجت في طلبها.» (١ ملوك ١٠: ٢) ثم ان ارميا النبي قال: «هكذا قال الرب: صوت نوح بالرامة، نذب وبكاء. مررت راحيل تبكي على بنيتها وقد ابت ان تتعزى عن بنيتها، لانهم امسوا في الوجود.» (ار ٣١: ١٥)

على ان الاعتقاد بين اليهود والمسيحيين ما زال شائعاً على توالي الاجيال ان راحيل مدفونة على مقربة من بيت لحم، في الموضع المعروف «بقبر راحيل» على سبعة كيلومترات الى جنوبي اورشليم، و كيلومترين الى شمالي بيت لحم، من عن يمين الطريق الذهاب الى الخليل، قبل مفرق طريق بيت لحم يبضع مئات من الامتار. غير ان بعض ارباب النقد ذهبوا في الستين الاخيرة، اي منذ نحو عشرة اعوام فقط، استناداً الى قول صموئيل، الى ان مدفن راحيل في الرامة المعروفة اليوم «بالرام» وهي قرية صغيرة حقيرة واقعة على ثمانية كيلومترات الى شمالي اورشليم، يسكنها اليوم نحو مئة نفس من المسلمين، وفي جوارها

قبور منقورة في الصخر تنطق بقدمها<sup>١١</sup> .

فهلّم الان ايها القارئى تتبع آراء العلماء الذين عُتوا بدرس هذه المسئلة ، ونستخلص زبدة اقوالهم ، ونورد براهين المتعصبين لبيت لحم والرامه ، وبعد ذلك نمحص بيتات الفريقين قدر الامكان ، ونرى حجة آيها تكون العليا .

### براهين المتعصبين لبيت لحم

ان الكتاب يصرح بان : « راحيل ماتت ودُفنت في طريق افراطة ، التي هي بيت لحم . » (تك ١٩: ٣٥) وان يعقوب لما دنا اجله قول لابنه يوسف وقد اتى يعوده في مرض موته : « واما انا ففي محبتي من فدان ماتت غني راحيل في ارض كنعان ، في الطريق ، على نحو ميل من افراطة . . . وهي بيت لحم . » (تك ٤٨ : ٧) وبما لا ريب فيه ان بيت لحم كانت في القديم تسمى افراطة ؛ كما ورد في سفر راعوت : « وهم افراطيون من بيت لحم يهوذا . » (راعوت ٢ : ١) وجاء ايضاً في سفر الملوك الاول : « وكان داود ابن ذلك الرجل الافراطي من بيت لحم يهوذا الذي اسمه يسى . » (١ ملوك ١٧ : ١٢) وبهذا الاسم عينه سماها ميخا النبي ، حين انبأ بولادة المخلص فيها : « وانت يا بيت لحم افراطة اناك صغيرة في الوف يهوذا . » (ميخا ٥ : ٢) فاذن افراطة هي بيت لحم بعينها . ولكن هل هي افراطة ، التي على مقربة منها دفنت راحيل ، ام يوسف وبنيامين ام غيرها ؟ هذا ما نريد ان نبينه بالايجاز في هذا المقال . .

اعلم ايها القارئى ان التقليد اليهودي والمسيحي ما زالوا متفقين على هذا الامر ، بل ان التقليد اليهودي حسب راي الاب لاگرانج لا يعرف افراطة اخرى غير افراطة بيت لحم<sup>١٢</sup> . ولكن القائلين بالراي المعارض يدعون ان هذه العبارة « التي هي بيت لحم » الواردة في سفر التكوين حشر اضافة النساخ فيما بعد . بيد ان القديس متي في كلامه عن المذبح التي سبها في بيت لحم طمع هيروودس وحرصه على عرش الملك قال : « حينئذ تمّ المقول بارميا . النبي القائل صوت سمع بالرامه ، بكما . وعويل كثير . راحيل تبكي على بنها وقد ابت ان تتعزى

(١) راجع سجع التوراة لفيكورو : المجلد الخامس صفحة ٩٤١

(٢) طالع كتابه في انجيل متى ١٧: ٢ المطبوع في باريس سنة ١٩٢٣ ، صفحة ٢٥

لأنهم ليسوا في الوجود. «مت ٢: ١٧-١٨) فلماذا ياترى استشهد الانجيلي بآية ارميا. ؟ لا ريب ان استشهاده بها لا يخلو من علاقة بين قتل الاطفال الشهداء. وبكاء راحيل.

على ان شرّاح الكتاب من الكاثوليك كانوا على اتفاق على موضع مدفّن راحيل ، المعروف الى يومنا بهذا الاسم . ولكن لما شاع ، منذ عشر سنين ، راي يمارض الرأي الاول تمك به بعضهم وعدلوا عن الاول. ومن جملة الاقوال التي تثبت زعم المتعصين لبيت لحم ما رواه القديس ايرونيسوس في رسالته الى استكيوم البتول: «ثم ان يولا قصدت الى بيت لحم ، ووقفت ، الى بين الطريق ، عند قبر راحيل<sup>(١)</sup> .» وقوله الاخر: «ان كلمة افراطة وبيت لحم تطلق على مدينة واحدة ، اذ انها تترجم بالخصبة وبيت الخبز<sup>(٢)</sup> .» وشرحه لآية متى: «ان بنيامين ولدته راحيل ، وليس في هذا البسط قرية تسمى بيت لحم وهنا لا بد من السؤال : كيف تبكي راحيل اولاد يهوذا ، اغني اولاد بيت لحم كما تبكي اولادها ؟ اننا نجيب باختصار : لانها مدفونة قرب بيت لحم في افراطة<sup>(٣)</sup> .» او لان سبط يهوذا وسبط بنيامين بقيا متحدّين مؤلّفين مملكة واحدة ، بينما ان الاسباط الاخرى انفصلت وانشأت لها محكمة مستقلة . وزد على هذا ان الملك هيرودس لم يأمر بقتل اطفال بيت لحم وحدها ، بل حكّم هذا الجيّد القاسي القاب سيفه في اطفال النخوم : «قتل كل صبيان بيت لحم وجميع تحومها.» (مت ٢: ١٦) فلا ريب اذن ان سيف الظالم اهلك جماعة من اولاد البنيامينين ايضاً ؛ وذلك لما كان بينهم وبين اخوانهم نسل يهوذا من تماقب الدار وقرب الجوار.

ثم ان حاج يوردر قال : «لما ذهبنا من اورشليم الى بيت لحم (برجدنا) على مسافة اربعة اميال من جانب الطريق الايمن البناء حيث دُفنت راحيل امرأة يعقوب ؛ وعلى مسافة ميلين من الجانب الايسر واقعة بيت لحم<sup>(٤)</sup> .»

P. L. Migne, T. XXIII, 891. (٣) P. L. Migne, T. XXII, 884. (١)

P. L. T. XXVI, 27-28 ١٣

Itinera Hierosolymitana saeculi IV-VIII. P. Geyer, p 25 (٢)

ويواقفه الرامب ادمنائس في كتابته التي وجهها الى الاسقف اركرف . والى هذا ذهب ايضاً القديس بيذا في النصل السابع من كتابه المنون « الاماكن المقدسة » . وفي القرن الثاني عشر كتب الادريسي : « واماً بيت لحم وهو الموضع الذي وُلد فيه السيد المسيح ، فيينه وبين المقدس ستة اميال . وفي وسط الطريق قبر راحيل ام يوسف وام ابن يامن ولدي يعقوب ، وهو قبر عليه اثنا عشر حجراً ، وقوفه قبة مقودة بالصخر . »

اما القبة القائمة فوق القبر فقد ابتناها ، سنة ١٨٧٩ ، موسى مونتيفيوره (Sir M. Montefiore) . وما عدا ما ذكرنا من الشواهد فان التقليد اليهودي والمسيحي والاسلامي ، كل هذه التقاليد لا تعرف غير هذا الموضع قبراً لراحيل واصحاب هذه التقاليد على اختلاف مذاهبهم ونحلهم يكرمون في هذا المكان عينه قبر زوجة يعقوب .<sup>١١</sup>

### براهين المنصحين للرامه

ان البرهان الذي يتند اليه اصحاب هذا الرأي هو ما ورد في سفر الملوك الاول من قول صموئيل لثاول : « ويستبلك رجلان عند قبر راحيل في تخم بنيامين . . . » ( ١ ملوك ١٠ : ٢ ) ويدعون برهانهم بقول ارميا النبي الذي جعله في تم راحيل لبكي به بني افرائيم الذين سبوا من اوطانهم : « صوت سُمع بالرامة ، ندب وبكاء . مر . راحيل تبكي على بنينا وقد ابت ان تتعزى عن بنينا لانهم ليسوا في الوجود . » ( ارميا . ٣١ : ١٥ ) على ان النبي ما اكتفى بما قال ، بل قفى على قوله مخاطباً راحيل عينها : « كفى صوتك عن البكاء ، وعينيك عن الدموع ، فان لملك اجراً يقول الرب ؛ وانهم سيرجعون من ارض العدو . » ( ارميا . ٣١ : ١٦ ) ثم ان الكتاب يذكر ان يعقوب بعد دفته راحيل زوجته واقامته النصب على قبرها : « رحل وضرب خبائه وراء برج القطيع . » ( تك ٣٥ : ٢١ ) فاذا قابلنا بهذه الآفة ما جاء في نبوة ميخا علمنا ان برج القطيع كان على مقربة من اورشليم . قال النبي : « وانت يا برج القطيع ، يا عوفل بنت صهيون ، اليك يأتي ويعود الحكم الاول ملك بنت اورشليم . »

(١) راجع سجع التوراة لثيكورو ، المجلد الخامس ، صفحة ٩١٦-٩٢٢

(ميخا ٤: ٨) فمن هذا الكلام يستنتج ان يعقوب خلف وراه قبر زوجته وهو آثر من الشمال ، ومشجه الى الجنوب . فاذن راحيل ماتت قبل الوصول الى برج القطيع ، الذي كان في جوار اورشليم . ولهذا السبب استنتج الاب دورم ( Dhorme ) ان قبر راحيل شمالي اورشليم ، في ارض بنيامين ، وان التقليد الذي يجمعه في ارض يهوذا على مقربة من بيت لحم ليس على شي . من الصحة . وقد شايه على رأيه الاب لاگرانج والاب دوران (Durand) والاب كندامان ( Condamin ) و ( H. A. Poels ) والاب اوباخ البندكتي

### نخبص براهمن اصحاب الراي الاول

رأينا في اثناء كلامنا ان اصحاب الراي الاول يدعون برهانهم بما ورد في الكتاب ( تك ١٩: ٣٥ - ٢٠ و ٤٨: ٧ ) . غير ان خصومهم يردون عليهم حججهم بقولهم ان العبارة المذكورة في سفر التكوين بعد كلمة افراثة « التي هي بيت لحم » حشو وقد زيدت فيها بعد . ولكن من يا ترى يتطوع اقامة الدليل على انها حشو ، ولاسيا انها موجودة في كتب السامريين ، والنسخة السبعينية ، وترجوم اونكلس ، والنسخة السريانية البيطة  $\text{ܩܪܝܢܐ}$  ، والنسخة العامية ( *Fulgata* ) ، فكيف دخلت هذه الزيادة ، على غير توافق ، في هذه النسخ ؟ جواب اصحاب الراي المناقض انها دخلت قبل الترجمة السبعينية . ولكن كيف دخلت في هذه النسخ ولم يدل عليها دليل في الاصل ، بل ماذا اراد الناسخ من زيادتها عمداً مع علمه بما ورد في سفر الملوك وسفر ارميا . ولماذا زادها في سفر التكوين فقط ، وكيف قبل اليهود في ذلك الزمان هذه الزيادة ، مع شدة محافظتهم على سلامة الكتاب ولم يسقطوها فيما بعد ؟ أما ان اليهود والمسيحين يعتقدون سلامة الكتاب من التحريف والتصنيف ؟

اماً قول متى الرسول انه بعد ذبح اولاد بيت لحم ، تمت نبوة ارميا . فدليل على وجود علاقة بين تلك المذجة وبكا . راحيل . فهذه العلاقة على ما يظهر هي شيان : اما وجود قبر راحيل على مقربة من بيت لحم ، واما كون الاطفال المذبحون اولادها . ألا ان اصحاب الراي المناقض لا يرون علاقة بين كلام الانجيلي ومذجة بيت لحم ، ويعرضون عن تفسير الآية وشرحها . ثم

ان الاب كندامان ذهب الى ان السبب الذي حمل القديس متى على تطبيق هذه الآية ما هو الا شيوع التقليد المبني على آية سفر التكوين (١٩:٣٥) واعتقاد عامة اليهود في ذلك الزمان وجود قبر راحيل على مقربة من بيت لحم . فن هذا القول ينتج ان ذلك التقليد كان غير صحيح . وفي هذا نجس لتصدر الكتاب الشريف .

غير ان الاب لاكرانج ، تجنباً لهذه النتيجة ، اكتفى بتلميل ما ورد في متى بنسبته الى « تشابه الحزن » وقفى على قوله بان لا حاجة الى القول ، مع كندامان ، ان الداعي لذكر الآية التقليد الذي كان يحمل قبر راحيل قرب بيت لحم<sup>١)</sup> . فهل « تشابه الحزن » يا ترى سبب كافٍ لحل الرسول على ذكر الآية : « حينئذ تمّ القول باميا . النبي . . . » اما كان في وسعه ان يقول : وحينئذ تمّت الثورات التي فيها ذكر البكاء . والحزن ؟ فاذن قول الخصوم يدل على ان كلام الانجيلي مبني على تقليد موهوم لا اساس له ، ولا علاقة بينه وبين قتل الاطفال الشهداء .

ثم انه فضلاً عن ذلك ليس حول الرامة اي « الرام » من اثر دال على قبر راحيل ، ولم يكتشف الى يومنا ما يزيل التموض عن هذه المسئلة ؛ بل ليس للخصوم سند سوى الآية الواردة في سفر الملوك ، وتعيين موقع « برج القطيع » . نظالما اعتقد شراح الكتاب دائماً وجود قبر راحيل عند بيت لحم ، فاية حاجة الى ترك التقليد الشائع ، والتسك برأي لا يعضده برهان متين ، وتوحيده بينات ناهضة ؟ على اننا اذا رجعنا الى تعاليد اليهود ، رأينا انهم لم يعرفوا افراطة سوى افراطة بيت لحم كما قال الاب لاكرانج نفسه ، وانهم اعتقدوا دائماً قبر راحيل على مقربة من بيت لحم ، في الموضع المعروف بهذا الاسم الى يومنا الحاضر . بقي ان اصحاب الرأي الثاني ، الذين عدلوا عن هذا الرأي الى الرأي الجديد ، مضطرون لتصحيح دعواهم ان بينوا غلط اليهود في هذا الامر ، ويثبتوا زعمهم بان « التي هي بيت لحم » حشر ، بل هم مضطرون الى اثبات رأيهم بالادلة الواضحة قبل زمان الترجمة السبعينية . على انهم يدعون ان التقليد

على عهد ارميا. كان شائعاً بان الرامة مدفن راحيل ؛ ولكن كيف اتقضى وتلاشى وانحى هذا التقليد ، ومتى حلَّ عمله التقليد غير الصحيح ؟ يميون ان السبي هو الذي اقامت الاول و احيا الثاني .وهنا يقوم اعتراض آخر على هذا القول وهو: لو كان تقليد الرامة صحيحاً لما نسيه اليهود في مدة جيلين ، لان في الرامة عنها اجتمع اليهود ، ومن الرامة سيقوا الى الجلاء ، كما جاء في سفر ارميا : «الكلمة التي كانت الى ارميا. من لدن الرب بعد ان اطلقه نبوزرادان رئيس الشرطة من الرامة ، اذ كان اخذه مكبلاً بالقيود ، بين جميع جلا. اورشليم ويهوذا الذين اُجِّلوا الى بابل» (ارميا. ١ : ٤٠) فلو كان لبكاء راحيل على اولادها الذين اُجِّلوا علاقة مع قبرها ، لما نسي اليهود قبر امهم بعد رجوعهم من بابل . فاذا احتجوا بان الرامة اصبحت بعد الجلاء . مجهولة ، اجبتنا: ان قرب هذه البلدة من اورشليم ، ووقوعها على مسافة ثمانية كيلومترات من المدينة المقدسة ، وقيامها على طريق بيت ايل وشيلو والسامرة لما يقف في وجه نسيانها . فاذن بكاء راحيل على بنيتها لا يدل على ان قبرها في الرامة .

### تمهيد براهين اصحاب الراي الثاني

يرهان المتسكين بهذا الراي ما ورد في سفر الملوك الاول (١٠ : ٢) . من ان قبر راحيل في تخم بنيامين . فاذا امن القاري نظره في قول صموئيل لشارل وتدبره ملياً ، رأى وفهم ان النبي لا يقول ان قبر راحيل في ارض بنيامين بل في تخم بنيامين . فلو كان قبرها في الرامة لما جاز لصموئيل ان يقول انه في تخم بنيامين ، بل كان يجب عليه ان يقول انه في ارض بنيامين ؛ لان حدود بنيامين كانت تمتد الى جنوبي اورشليم ، كما جاء في سفر يشوع : «ويصعد التخم الى وادي ابن هنوم<sup>(١)</sup> ، الى جانب يروس جنوباً وهي اورشليم ، ويصعد الى راس الجبل الذي هو تجاه وادي ابن هنوم غرباً في طرف وادي الجبايرة شمالاً.» (١) وادي ابن هنوم كان معظمه حدًا بين سبط يهوذا وبنيامين . وهو يتدنى عند بركة مائلا ، ويصل الى بركة السلطان ، وينحدر جنوباً في شرق ، ويمدق يجبل صهيون حتى يصل بوادي قدرون . ولا يعرف من هو ابن هنوم الذي نُسِّي باسمه هذا الوادي . لقد كنا في اذ ان اسم الوادي ورد في سفر يشوع . وكان اليهود يفرِّبون فيه القرابين البشرية اكراماً لمولك . (راجع ٢ اخبار الايام ٢٨ : ٢٥ وارميا . ٢ : ٢٧ و٣١ : ٣٢ و٣٥ : ١٩ و٦٧ : ٢)

(يشوع ١٥: ٨) هذا حد يهوذا من الشمال. أما حد بنيامين الجنوبي فهو: «ثم يهبط الى طرف الجبل الذي تجاه وادي ابن هنوم الذي في وادي الجبايرة شمالاً وينحدر في وادي هنوم الى جانب ييوس جنوباً ، ثم يهبط الى عين روجل .»<sup>١</sup> (يشوع ١٨: ١٦) فاذن اورشليم كانت في سبط بنيامين وبيت لحم في يهوذا ، ومدفن راحيل بين المدينتين ؛ وكذلك جاز لصموئيل ان يقول انه في تخم بنيامين فهذا القول يعضد الرأي الاول .

ثم ان كلام ارميا . (١٥: ٣١) لا يجدي اصحاب هذا الرأي نفعا ، لانه لا يصرح بوجود قبر راحيل في الرامة بل يقول : « صوتُ سَمْعِ الرامة ، ندب وبكاء . مر ؛ راحيل تبكي على بنيتها . » فاذا تدبرنا هذا القول ظهر لنا ان قبر راحيل ليس في بيت اللحم ، ولا في الرامة ، بل في موضع بين المكانين . اذ النبي يقول : « صوتُ سَمْعِ الرامة » فكان صوت ذلك البكاء والندب الصاعدين من قبر راحيل قد بلغ الرامة ، موضع اجتماع اليهود قبل جلالتهم . فهذا التعبير ضرب بديع من تصور الخيال ، ولا سيما ان مدفن راحيل ، وموضع ذلك الاجتماع ، متلاصقان لا يفصل بينهما سوى خمسة عشر كيلومتراً . اما ان الخيال يقرب البعيد ويبعد القريب ؟

ولكن ما السبب الذي حدا بارميا . الى الجمع بين الرامة وبكاء راحيل؟ السبب على الأرجح اجتماع اليهود في ذلك المكان من حيث سيقوا الى الجلاء ، فسارتوا اوطانهم ورحلوا بلادهم ؛ فكان هذا العمل اثار عواطف راحيل واستتفز دمع عينيها رافة بمصاب بنيتها . فقول النبي لا يدل على انها مدفونة هنالك . على انه قد كان ايضاً بين المجلوتين اولاد بنيامين « ابنا . الالم » الذي ولدته راحيل بالأم وسيوا هلاكها . فلما رأت ان هولاء الاولاد ، اولاد الالم ، مسوقون الى الجلاء . كقطعان الغنم ، علا نحيبها واشتد بكائها ، فرفث صدها في الرامة . فاذن سبب بكاء راحيل سبي اولادها لا وجود قبرها ، اذ لا علاقة

(١) كان القدماء يظنون عين روجل يير ايوب ؛ ولكن التأخرين يذهبون الى اخا عين ام الدرج الواقعة في اسفل جبل صهيون من الشرق ، ويسمي الاخرنج هذه العين العين المفردا . (راجع معجم التوراة لليكوردو المجلد الخامس ، صفحة ١١٠٨)

بين البسكا، والقبر.

أما ما ورد في ميخا من ذكر برج القطيع فنقول : ان برج القطيع ورد لأول مرة في سفر التكوين ( ٣٥ : ٢١ ) ويُراد به على الرأي الأرجح برج صغير كان في جوار بيت لحم ، يأوي إليه الرعاة وراقبون من فوقه قطعانهم في مزارعها . ومن اسمه تعرف غايته . وقد كانت عادة الرعاة في ذلك العصر ان يتخذوا لهم ابراجاً في البرية ، كما يشهد بذلك سفر اخبار الايام الثاني ؛ اذ ان عزياً الملك : « بنى ابراجاً في البرية ، وحفر اباراً كثيرة ، اذ كانت له ماشية كثيرة في الساحل والسهل . . . » ( ٢٦ : ١٠ ) هذا وان القديس ايرونيوس يحمل برج القطيع على مسافة الف خطوة الى مشارق بيت لحم : « بيت لحم حيث يرى قبر يسى ودلود ، وعلى مسافة الف خطوة برج عادر الذي تأويله برج القطيع »<sup>(١)</sup> . ومن الصعب تعيين موقعه بالضبط . ثم ان برج القطيع الوارد ذكره في نبوة ميخا يُراد به اورشليم من باب المجاز<sup>(٢)</sup> ، فضلاً عن ان الآية مستقلة حتى ان الاب لاگرانج وكندامان لا يستندان اليها ولا يتخذانها برهاناً لدعم قولها . « فبرج القطيع » هذا اما اسم علم ، واما اسم جنس مجازي . على ان الآية تدل صريحاً ان برج القطيع هو عين اورشليم وهو علم ، ولكن اسم الجنس لا يبين موقعه . فهل يحسن والحالة هذه اتخاذ هذه الآية كبرهان على صحة رأي التعبين للرامة ؟ وما زال في حقل الرعاة شرقي بيت لحم آثار برج قديم ، فلعله مجدل عادر او برج القطيع ، طبقاً لما جاء في كلام القديس ايرونيوس اذ قال : « وعلى مقربة من هناك نزلت (بولاً) الى برج عادر اعني برج القطيع حيث رعى يعقوب قطعانه ، واستحق الرعاة الساهرون في الليل ان يسموا : المجدفة »<sup>(٣)</sup> . فمن هذا كله يستدل على ان البراهين المؤيدة وجود قبر راحيل الى جانب بيت لحم اقوى . والمرء مخير في اتباع الرأي الذي يرى رجحان براهينه . ولعل أعمال الحفر والاكتشافات تجلو غامض هذا السر وتحسر عنه اللثام ، وكل آت قريب .

Cf. S. Jerome, *Quaest. in Gen. loc. cit.* (٧) P. L. T. XXIII, p. 879 (١)

P. L. T. XXII, 885-886. (٣)